جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ / المرحلة : الثالثة

المادة : فلسفة التاريخ

عنوان المحاضرة /

التاريخ وتفسيره.... منظور أسطوري

.....

أ م د : نعمه بحر فياض

العام الدراسي ٢٠٢٥-٢٠٢٦

التاريخ وتفسيره.... منظور أسطوري

شغلت الأساطير مكانة بارزة في الحياة الروحية والفكرية لأمم العالم القديم فكانت تلك الأساطير على علاقة وثيقة بعلم التاريخ وذلك بسبب ما كانت تتضمنه تلك الاساطير من مادة تاريخية مهمة عن نشأة وتطور التدوين التاريخي والخوض في تفسيرات الحوادث التاريخية عبر الأزمنة والعصور القديمة حتى الوقت الحاضر يمكن عد الاساطير المادة التاريخية الأولى .

النمط القصصي : وهو الذي تميزت به الأسطورة وكان الخيط الأول في نسيج مادة الأسطورة، اذ عكست الأسطورة طبيعة العلاقة الجدلية التي كانت تربط الأسطورة بالتاريخ وجعلت منه مادة الأسطورة التي كانت تحظى بأهمية كبيرة كعنصر أساسي من العناصر المكونة لمادتها الأساسية ، فضلا عن كونها أداة اعتمدها رواة الاساطير في الكشف عن طبيعة مادتها التاريخية ومكوناتها الأساسية

العلاقة بين الأسطورة والتاريخ

هناك علاقة وثيقة بين الأسطورة والتاريخ ، ألا أن تلك العلاقة تضل علاقة جدلية تعكس ثنائية متلازمة بطبق عليها الوصف بانها علاقة تستدعي بعضها البعض ، اذ يمكن عد ذلك بانه هناك علاقة وثيقة وملازمة بين الأسطورة والتاريخ على الرغم من انهما في بعض الأحيان يكون هناك حالة من التعارض الا انها ليست دائميه ، فضلا عن وجود تعارض يفرق بينهما في أحيان كثيرة ، ففي ذلك المجال اقر العالم (كولد ليفي شتروس) بانه ليس تعارضاً مفرقاً الذي ذكر في حالة تعارض التاريخ الذي وصفه بانه هناك نسق مفتوح بين الأسطورة والتاريخ الذي لا يمكنه التفرقة بينهما ، واذا استطعنا تقديم مفهوم عام للتاريخ لاسيما في الفصول السابقة ، فان إيجاد مفهوم للأسطورة اصبح امراً ضرورياً ملزماً وباتاً قبل الخوض في العلاقة بين الأسطورة والتاريخ .

من حيث معنى المصطلح في اللغة العربية ، فقد تم الإشارة له في معجم اللغة العربية الى ان اصل كلمة اسطورة مشتق من الفعل الثلاثي في اللغة العربية (سطر) والذي يشير في معناه العام الى الكتابة ، كما ورد في الكتاب الذي انزل على نبيناً الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى في بسم الله الرحمن الرحيم:(ن والقلم وما يسطرون) أي ما كتبه الملائكة مما كتوبه من اعمال ذرية نبي الله عز وجل ادم (عليه السلام) ، كما يمكن ان تأتي الأساطير بمعنى اخر مغاير للراي الانف الذكر بمعنى الأكاذيب والاحاديث التي لا أساس ولا نظام لها ، وهو ما تام الإشارة له في المعاجم اللغوية الحديثة عن الاساطير بوصفها بانها الحكاية التي لا اصل لها ووصفها بانها كلام من النسج الخيال ، وقد وصفها القران الكريم بقوله تعالى : (ان هذا الا اساطير الاولين)، بمعنى ما هذا الا أكاذيب الاولين قد سطورا احاديث وقصص لا وجود لها وانما كانت من نسج الخيال وامنوا بها .

وفي معنى آخر فان الأسطورة تشر إلى الكتابة والنص المدون والى الأحاديث والحكايات الشفهية المتداولة، والى الأباطيل والأكاذيب المدونة وغير المدونة التي لا أصل لها ويشير جواد\ علي الى ان الاساطير وكتب الاساطير ماهي الا كتب قصص وسمر وحكايات وتواريخ تم تداولها واستعمالها في العصور التي سبقت الإسلام الجاهلية ، كما تم استعملها وتداولها من قبل اليونان والرومان ، كان الهدف منها تدوين تاريخيهم وتاريخ من سبقوهم وحكاياتهم وقصصهم ، اذ يرى البعض بان اصلها يونانية (Hisoortia) ولاتينية (Stoia) الى ان روزنال ذكر عكس ذلك فقد ارجع كملة اسطورة الى الأصل العربي للفعل (سطر)والذي يعني كتب وجذوره يعود الى مختلف اللغات السامية .

اما اصل كلمة الأسطورة في اللغات الاوربية الحديثة فهي مشتقة من الكلمة اليونانية (Mythas) التي تعني الكلمة المنطوقة ويتسع معناها الى ان يأخذ مدى أوسع ليشمل القصة او الاحاديث المتواترة أي المنقولة بالتواتر التي غالبا ما تنقل الاحاديث والقصص عن الاله والقادة العظام والملوك ، فكلمة (Myth) الإنكليزية والتي تعني لغة الأسطورة او الخرافة ، اما المعنى الاصطلاحي الإنكليزي المعاصر فقد وصفها بإنها عبارة عن احداث وقعت في زمن قديم لا يوجد معلومات عنه سوى تلك القصص وهي في مجملها عبارة عن شرح للظواهر الكونية الخارقة وتفسيراً لأسباب حدوثها ، وان

الأصل الاغريقي لكلمة (Mythas) كان قد اشتق من مصطلح مثيولوجيا (Mythology) الذي يعني علم الاساطير والذي تبلور في صيغته النهائية بمطلع القرن العشرين .

وكانت الآلية والكائنات الخارقة أو الأبطال التي تقو بدور الوسيط بين القوى العليا وبين البشرية السفلي، والعنصر المشترك في الأسطورة لا تخلو منه أسطورة من أساطير أمم العالم القديم، أما بقية مضمون الأسطورة فأنه مكون مركب حسب وصف (ارثفين) بانه علم بدائي، أو تاريخ أولي، أو تجسيد لأخيله لا واعيه، أذ تحدثت الأسطورة عن خلق الكون وبداياته واصل تكوينه وعن أصل الأنسان وخلقه وحركته على الأرض، وعن أصل النبات والحيوان، وتناولت الطقوس والديانات وكيفية أدائها بما يؤلف تاريخاً مقدساً يمتد إلى أزمن بعيدة.

أن تلك المضامين المتنوعة والأغراض المتعددة اشتملت على مادة تاريخية أسطورية غزيرة وهي مادة أشبه بمادة التاريخ، ويمكن أن تستخلص منها بعد تحليلها الى جانب من حقيقة ما جرى في الماضي دون ان يكوف وسيلة بواسطتها أن التميز بين ما هو واقعي أو خيالي من تلك المادة أو شبة المادة التاريخية، أن تملك المادة اسهمت بشكل فعال في كشف ملامح بعض الجوانب الحضارية المهمة في تاريخ الأم القديمة، وفي توضيح البناء الفكري للإنسان ووعيه بذاته وبالعالم المحيط به .

أن نشأت الأسطورة كانت ترتبط بالطقوس الدينية مما يجعلها تتخذ منحاً بعيداً عن التاريخ أو ربما كانت تشكل أصلاً له، وأن احدى نظريات نشأة الأسطورة وهي نظرية المدرسة التاريخية تشير أن التاريخ هو الباعث للأسطورة وليس العكس، وان الأساطير التي وصلت الينا بالوقت الحاضر فأنها تمثل في اصلها تاريخ البشرية الأولى، وتاريخ الآلهة ما هو ألا تاريخ لعصر الأبطال حين كان الأنسان يعجب بالقوة والجبروت ويتطور ذلك الأعجاب عند الأجيال إلى نزعة التقديس فتصل إلى حد عبادة الآباء ثم تصل إلى تناسي تلك الأبوة ودخولها في مرحلة التأليه، ومن ثم تكون الأسطورة قد نشأت على أساس مرتبط بالتاريخ .

كانت نشأت الأسطورة مرتبطة بالطقوس الدينية مما يجعلها تتخذ منحاً بعيداً عن التاريخ أو ربما كانت تشكل أصلا له، وأن احدى نظريات نشأة الأسطورة وهي نظرية المدرسة التاريخية تشير أن

التاريخ هو الباعث للأسطورة وليس العكس، فقد كانت الأساطير التي وصلتنا تمثل في اصلها تاريخ البشرية الأولى، وتاريخ الآلهة ما هو ألا تاريخ لعصر الأبطال في وقت كان الأنسان يعجب بالقوة والجبروت ويتطور ذلك الأعجاب عند الأجيال إلى نزعة التقديس والتي وصلت إلى حد عبادة الآباء ثم وصلت الى حد إلى تناسي تلك الأبوة وحتى وصلت الى حد الدخول مرحلة التأليه، ومن ثم تكون الأسطورة قد نشأت عمى أساس مرتبط بالتاريخ .

كان التاريخ من حيث نشأته سعى فيه الأنسان إلى معرفه ذاته من خلال التعرف على ما في البشرية وادراك مغزى حوادثه وأنماط مسيرته، كما أن كلاهما ارتبط بفطرة الأنسان التاريخ والأسطورة التي تماهت مع الدين ، أو الأنسان مؤرخ بفطرته وفي الوقت نفسه فان الدين كان ملازماً لفطرته ، اذ لازم التاريخ الرواية الشفهية لاسيما قبل ان اكتشاف الكتابة واستعمالها كأداة تدوين للتاريخ وحفظه ، وكان لابد من ممارسة التدوين التاريخي وهو ما تميز فيه عن باقي المخلوقات عن طريق اللغة التي استعملها ، وسيلة للتعاون مع باقي أبناء جنسه ونقل من خلالها خبراته ومعارفه ، لاسيما المعرفة التاريخية التي تعد أساس للمعارف على باقي العلوم الأخرى والتي تمثلت بما حصل عليه الانسان في الماضي من مكاسب معرفيه في الماضي ، لذلك يمكن عد الانسان بانه قد مارس مهنة التاريخ من خلال الرواية الشفهية قبل تعلمه للكتابة والتدوين في حفظ التاريخ والمحافظة على ارثة التاريخي والحضاري .

وقد أشار الباحث (أنست كاسيور) إلى ريادة الأسطورة فهي وسيلة الأنسان لفهم العالم الطبيعي والاجتماعي من خلال توظيف الماضي الأسطوري، فالأسطورة تقوم بتصوير أصل الكون وسلالات الآلهة والانسان تستعين بالماضي وتصل إلى منظور زمني ترتب على أساسه الأشياء والحوادث، والأنسان عندما بدأ بالبحث عن منشأ الأفكار اكتشف الأصل الأسطوري وليس التاريخي، وأن الفكر التاريخي ولد من ضلع الفكر الأسطوري، وأن الأسطورة قامت بذلك الدور من خلال رسم الخطوات الفلية الأولى للتاريخ .

وتتميز الأسطورة على التاريخ من وجهة نظر (كلود ليفي شتراوس) من خلال زمنها الغير محدد، أو هي تفسير للماضي والحاضر والمستقبل، في حين يقتصر التاريخ على الحوادث التي حصلت

في زمن بعيد، مما منح الأسطورة شمولا وأصاله، فان الهدف من الأسطورة الكشف عن الثوابت وهي لا تسعى بشكل أساسي إلى تتابع الحوادث، مما جعلها تستمر في حياتيا حتى مع انبثاق السرد التاريخي وتتعايش مع التاريخ دون أن يتجاوز على خصوصيته لان لكل منها هدفه الخاص.

ويقول (ميرسيا ايمياد) الذي يعد من اشهر علماء الميثولوجيا ان المفكرين الغرب كانوا حتى نهاية القرن التاسع عشر يعدون الأسطورة أوهام وحكايات ملفقة، ويرى ايمياد أن الأسطورة هي رواية لتاريخ مقدس يخبر عن أحداث وقعت في الزمان الأول قامت بها الآلهة والكائنات الخارقة، وتلك الحوادث حقيقية في نظر الإنسان القديم، إذ تتضمن الأسطورة تاريخاً حقيقياً جرت حوادثه بداية الزمان الأسطوري وهي نموذج للسلوك البشري، فالأسطورة تروي لنا كيف أنه بفضل إنجازات الآلهة وتلك الكائنات الخارقة ظهرت حوادث التاريخ.